﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ [الحجر: 35]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ثبوت اللَّعنة على إبليس واستمرارها إلى الأبد

لمّا أخبر اللّه تعالى عن أمرِه بخروج إبليس من كلِّ موضعٍ شريفٍ، وعن وصفِه بأنَّه رجيم؛ أكَّد بعدَه بالإخبار باستمرارِ ذلك وثبوتِ اللَّعنةِ عليه[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾: أصلُ (لعن): يَدُلُّ على الطَّرْدِ والإبْعادِ عن الخَيْرِ، يُقال: لَعَنَهُ اللّهُ، أيْ: أبْعَدَهُ وطَرَدَهُ عن الخَيْرِ[2]، واللَّعِينُ: المُبْعَدُ المَنْبوذُ، واللِّعانُ: الدُّعاءُ بِاللَّعْنِ، واللّعانُ من الخَلْقِ بمعنى السَّبِّ والشَّتْمِ، يُقال: لَعَنَهُ لَعْنًا، أيْ: سَبَّهُ[3]. ويأتي اللَّعْنُ بمعنى التَّعْذيبِ والإهْلاك، واللَّعْنَةُ: العَذابُ[4]. والمقصود باللَّعنَةِ في الآية: الطَّرْدُ والإبْعادُ بإهانةٍ وتَحقيرٍ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

مُلازمةُ اللَّعنة لإبليس إلى يوم القيامة

يقول الحقُّ ﷻ: وإنَّ طَرْدَك التّامَّ مِن رَحمتي سيبقَى في الدُّنيا مُتَّصِلًا بك، لاحِقًا لَك، إلى يوم القيامةِ الَّذي تُلاقي فيه جزاءَ ما عَمِلتَ، فهو آخر من يموت من الخَلْقِ[5].

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فائدة العطف في قولِه: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾:

خروج إبليس من الجنَّة على سبيل الطَّرد وثبوت اللَّعنة عليه واستمرارها

لمّا حكم اللّه تعالى على إبليس بالخروج من كل موضعٍ شريفٍ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/56.
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (لعن).
(3) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (لعن).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (لعن).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 14/67، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/26.

وكان مفهوم الخروج محتملًا أن يكون على سبيل الإبعادِ وألّا يكون كذلك؛ كان ذكر الرَّجيم دالًّا على أنَّ الخروج من الجنَّة على سبيل الإبعاد والطَّرد، ثمَّ إنَّه عطف على ما تقدَّم هذه الآية تأكيدًا في بُعدِه، وزادَ عليه بالإخبار باستمراره، مع ثبوت اللَّعنة عليه، وقوَّى هذا الثبوت مجيء الخبر بصيغة الجملة الاسمية، فأفاد العطف تأسيس المعنى.

دلالة ﴿وَإِنَّ﴾:

تأكيد الإبعاد والطَّرد

أفادت ﴿وَإِنَّ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ تأكيدَ وقوع اللَّعنة على إبليس، بعد تأكيد إبعاده وطرده من كلِّ موضعٍ شريفٍ، وفي ذلك توثيقُ الحكم وتقريرُه.

بلاغة تقديم ﴿عَلَيۡكَ﴾:

لعنة الله لإبليس خاصَّةٌ به ومقصورة عليه

أفاد تقديم الجار والمجرور على اسم ﴿وَإِنَّ﴾ - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ - تخصيص اللَّعنة المذكورةِ به، والمعنى: إنَّ عليك خاصَّةً اللَّعنة إلى يومِ الدين[1]، أو أفاد قصرها عليه، والمعنى: إنَّ عليك وحدك اللَّعنة إلى يومِ الدين، لا على غيرك.

دلالة (عَلَى) في ﴿عَلَيۡكَ﴾:

استيعاب لعنة الله لإبليسَ وتمكُّنها منه

جاء حرف الجر (على) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ على طريق المجاز، ليفيد تمكُّنَ اللّعنةِ والشَّتمِ من إبليس، حتَّى كأنَّ اللَّعنة فوقَه مستوعبةٌ له محيطة به[2].

دلالة لفظ ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾:

التكبُّر على الله سبب للإبعادِ من رحمته وتوفيقِه

لمّا كان اللَّعنُ هو النَّفيَ أو الطَّردَ والإبعادَ بتخويف وذعر؛ كان مجيئُه بمعنى الطَّرد والإبعاد على سبيل السُّخط من الله تعالى على طريق المجاز، ولمّا ذكر أنَّ اللّعنَ هو في هذه الدنيا إلى يومِ الدين -

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/56.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/47.

سواءٌ أكانَ على التأبيد أم على الانقطاع - أفادَ أنَّ المرادَ منه طردُ إبليس وإبعادُه من رحمةِ اللّه وتوفيقِه وعن أيِّ خيرٍ؛ بسبب معصيتِه.

(ال) في لفظ ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾ بين الكمال والعهد:

استحقاق إبليس الخروجَ المطلق من الجنَّة ومن رحمة الله

تحتمل (ال) أن تكون بمعنى الكمال، أي: عليك اللعنة الكاملة الأوصاف؛ لتُناسبَ اختصاصَ إبليس اللَّعين بها[1]، ويحتمل أن تكون للعهد العلمي، أي: عليك اللَّعنة التي هي الطَّرد والإبعاد من الجنَّة ومن رحمةِ اللّه، فيكون المعهود هو ما فهم من لفظ ﴿رَجِيمٌ﴾ مع زيادةٍ في المعنى.

توجيه المتشابه في الآية:

مناسبة التَّعبير للسِّياقِ

في هذه السورة قال اللّه تعالى لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ بالألف واللّام، وَفِي سورة (ص) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ [ص: 78] بِالْإِضَافَة، ووجه اختلاف التَّعبير في الآيتين: هو أَنَّ الْكَلام فِي هَذِه السّورَة جرى على الجِنْس؛ ليفيدَ الاستغراقَ من أول القِصَّة فِي قَوْله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الحجر: 26]، ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ﴾ [الحجر: 27]، ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ﴾ [الحجر: 30]، كَذَلِك قال: ﴿عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾، فأفادت (ال) استغراق الصِّفات، فتكون للكمالِ، ليفيدَ المبالغة في اللَّعنِ، وأمّا الوارد في سورة (ص) مضافًا لياء المتكلم؛ فوجهه المناسبة اللفظية لقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: 75]، وأيضًا لما أضاف خلق آدم إليه تشريفًا له بقوله: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾؛ أضاف طرد عدوه إليه أيضًا زيادة في كرامةِ آدمَ وفي إهانةِ إبليس، فجرت العبارتان على منهج واحدٍ ومسلكٍ متناسب، ولم يكن ليتناسب العكس[2].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/211، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/152، والبقاعي، نظم الدرر: 11/56.

(2) الكرماني، أسرار التكرار، ص: 155، والغرناطي، ملاك التأويل: 2/290، والبدر بن جماعة، كشف المعاني، ص: 223.

سبب توقيت انتهاء اللّعن بـ﴿إِلَىٰ﴾:

استمرارُ إبليس على الكفر وبُعدُه عن الخير

في قولِه تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قد يقال: إنَّ كَلِمَةَ ﴿إِلَىٰ﴾ تُفيدُ انْتِهاءَ الغايَةِ، وهَذا يُشْعِرُ بأنَّ اللَّعْنَ لا يَحْصُلُ إلّا إلَى يَوْمِ القِيامَةِ، وَعِنْدَ قِيامِ القِيامَةِ يَزولُ اللَّعْنُ، والجوابُ أنَّ القيد بـ﴿إِلَىٰ﴾ لا يقصد به انتهاء التَّوقيت إلى غاية يوم الدين، بل المُرادُ مِنْهُ التَّأْبِيدُ؛ لأنَّ ذكرَ يومِ الدّين أبْعَدُ غايَةٍ يَذْكُرُها النّاسُ في كَلامِهِمْ، ومن استعمال التَّوقيت على معنى التأبيدِ قولُه تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود: 107]، ويحتمل أن تكون ﴿إِلَىٰ﴾ لانتهاء الغاية، والمعنى: أنَّكَ مَذْمومٌ مَدْعوٌّ عَلَيْكَ بِاللَّعْنَةِ في السموات والأَرْضِ إلَى يَوْمِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أنْ تُعَذَّبَ، فَإذا جاءَ ذَلِكَ اليومُ عُذِّبتَ عَذابًا تَنْسَى اللَّعْنَ مَعَهُ، فَيَصِيرُ اللَّعْنُ حِينَئِذٍ كالزّائِلِ؛ بسبب أنَّ شدَّة العذاب تُذهل عنه، والكلامُ على التَّوجيهين فيه إيذان بدوام الطرد، وتوالي البُعد واستمرار المقت، وبأنَّه مُنِعَ من التَّقرُّب إلى الخيرِ والتَّوبة من الكفرِ[1].

سرُّ التَّعبير بقولِه: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

الجمع بين بقاء اللعنة على إبليس وشدَّةِ العذاب عليه في الآخرة

ذهب الزمخشريُّ إلى أنَّ ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ﴿يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾ [الأعراف: 14]، و﴿يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ كلُّها في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكًا بالكلام طريقة البلاغة[2]، فإنَّ اختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات، ونكتة التَّعبير بـ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هنا: هو أنَّه لمّا كان ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بمعنى يوم الجزاء، ومنه قولهم: (يومَ يدينُ اللّهُ العبادَ بأعمالهم)، وتقول العرب: دِنتُهُ بما فعلَ، أيْ: جازيتُهُ، أو بمعنى يوم الحساب، ويدخل في ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ جميعُ ما فيه من ذِكر القيامةِ، وشدائدِها وصعوباتِها، وأفزاعِها وأهوالِها، وحسابِها وسؤالِها، واختلافِ أحوالِها، والنارِ ودَرَكاتها، والجنَّةِ ودرجاتها،

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/577، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/141، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/477، والبقاعي، نظم الدرر: 11/56.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/578.

والصِّراطِ وخَطَره، واللهب وشرِه، فلمّا كان الأمر ما ذُكِرَ؛ كان مجيءُ ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ للإشعارِ بأنَّ اللَّعنةَ متمكِّنةٌ منه غيرُ مفارقةٍ له إلى أنْ يلاقيَ جزاءَ عملِه، فيكون العقابُ عليه في ذلك اليومِ الموصوفِ بعظمِ الشَّدائد والأهوال، أمامَ رؤوس الخلائق؛ أشدَّ من اللَّعنةِ، وأظهرَ في إهانتِه وتحقيرِه، ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ اللَّعنةَ عليه في الدُّنيا، وهي ثابتةٌ عليه متمكِّنةٌ منه لا تفارقُه، فهي على التَّأبيد، ويزيد عليها نيله الجزاء على عملِه وقولِه، فيجمع بين بقاءِ اللَّعنة عليه وشدَّة العذاب في الآخرة[1].

۞ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرَّجم واللَّعن:

اللَّعنُ يُدعَى به، والرَّجمُ لا يُدعَى به

الرَّجْمُ: هو الرَّمي بالحجارةِ، ويأتي الرَّجم على طريقِ الكنايةِ بمعنى الطَّرد أو السَّبِّ والشَّتم؛ لأنَّ المرجومَ مطرودٌ، ويلحقه السَّبُّ والشَّتمُ غالبًا، ويأتي الرَّجم كذلك بمعنى القتل؛ لأنَّهم كانوا إذا قتلوا رجلًا؛ رَمَوْهُ بالحجارة حتّى يموت، وأمّا اللَّعن؛ فهو بمعنى الطَّرد والإبعاد والانتباذ على سبيل الغضبِ من الملعونِ، ويؤتى باللَّعنِ في مقام الدُّعاء على الآخرين، فيقال: اللعنة على كذا، وأمّا الرَّجم؛ فلا يدعى به، وكلُّ مَنْ لَعَنَهُ اللّه؛ فَقَدْ أبعده عَنْ رَحْمَتِهِ، واسْتَحَقَّ العذابَ، فَصارَ هالِكًا، فالرَّجم أعمُّ من اللَّعن، وإن كانَ اللَّفظان (اللَّعين والرَّجيم) إذا أُطلقا؛ عُنيَ بهما الشَّيطان؛ لأنَّهما صارا وصفًا غالبًا له[2].

(1) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (دين)، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/141، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/47.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجم، لعن).